مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

دوافع السلطان عبد الحميد الثاني لتطوير الاستخبارات (1876-1909)

نور إبراهيم نجم
وسام علي ثابت
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 2025/5/6
تاريخ القبول 17/ 2025/6
تاريخ النشر 24/ 7/ 2025

الكلمات الرئيسية:

الدولة العثمانية، السلطان عبد الحميد الثاني، الجاسوسية، الاستخبارات.

المستخلص باللغة العربية:

الملخص
يناقش هذا البحث باختصار أسباب ودوافع تطوير جهاز الجاسوسية والاستخبارات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ويركز على نشأته وسنوات حكمه الأولى في صوغ شخصيته وحسه الاستخباري، ذلك أن الدراسات التي تتناول هذا الموضوع لا تغطي هذه الجزئية من الموضوع، ينقسم البحث على ثلاثة محاور رئيسة: أولا: نشأة الأمير عبد الحميد وتطور بوادر الشكوك في شخصيته، وثانيًا: موقفه من المحيطين به من رجال القصر، وثالثًا: التحديات السياسية الخارجية والداخلية التي واجهها في مطلع حكمه، متمثلةً بأطماع القوى الغربية لاقتطاع هذا الجزء أو ذاك من ممتلكات الدولة العثمانية، أو نشاط الحركات المعادية له في داخل الدولة وولاياتها، وانتهى البحث بخاتمة تضم أهم النتائج، وفي مقدمتها الحاجة إلى تطوير وبناء جهاز استخبارات قوي يختلف عما كان في عهد السلاطين السابقين.

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

دخل النشاط التجسسي والاستخباري العثماني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني مرحلةً جديدةً تختلف عمَّا كان عليه في عهد أسلافه اختلافًا جذريًّا وبكل المقاييس؛ إذ تبنى الإشراف على هذا جهاز الجاسوسية بنفسه وبشكل مباشر، حتَّى بات الكثير من خصومه يصفون عهده بأنه "عهد الجاسوسية" وصارت عبارة "جواسيس السلطان" قاسمًا مشتركًا في معظم المؤلفات التي تناولت سيرته وعهده، المناوئة له منها والمؤيدة له، وقبل الخوض في تفاصيل البحث، لابدَّ من الإشارة إلى أن هناك ثلاثة عوامل رئيسة صاغت شخصية السلطان وزرعت في نفسه المخاوف والوساوس التي صارت سببًا رئيسًا لاهتمامه المباشر بجهاز الجاسوسية والاستخبارات، وهي: أولا: نشأته وصفاته الشخصية، وثانيًا: موقفه من المحيطين به من رجال القصر، وثالثًا: التحديات الخارجية والداخلية التي واجهها في بداية حكمه، متمثلةً بأطماع القوى الغربية لاقتطاع هذا الجزء أو ذاك من ممتلكات الدولة العثمانية، أو نشاط الحركات المعادية له في داخل الدولة وولاياتها، وعلى الرغم من أن هذا البحث ليس معنيًّا بالخوض في التفاصيل الدقيقة لنشأته وشخصيته وأحوال الدولة عشية توليه العرش ـ إذ إن هذه المواضيع تناولتها المصادر بما يكفي ـ إلاَّ أننا نجد لزامًا علينا أن نسلط الضوء على تلك العوامل وما له علاقةٌ مباشرةٌ بتكوينه النفسي وأثره في هواجسه وحسّه الاستخباري ليكون مدخلاً للبحث، ومن ثمَّ علينا أن نجيب عن تساؤل: هل كانت مخاوف السلطان وهواجسه حالةً طبيعيةً ناشئةً من الجو الذي نشأ فيه والتحديات التي واجهته، أم كانت حالةً مبالغٌ بها و"مَرَضيةً" بحيث لفتت انتباه وانتقاد المؤرخين والمراقبين؟ وعلينا أن نضع نُصب أعيننا أن عبد الحميد كان يهدف من جميع إجراءاته هذه تحقيق هدفين: حماية عرشه وسلطته من جهة، وحماية أراضي دولته من جهة أخرى، وقد انبرى فريقٌ من المؤرخين[1] بتقديم صورة قاتمة عن حياة السلطان، صوَّروه فيها بأنه مريضٌ نفسيًّا ومهووسٌ بأوهامه ووساوسه، في حين يرى فريقٌ آخر أن لهذه المخاوف ما يسوغها، وأن السلطان كان محقًّا ومصيبًا في احترازاته وإجراءاته الأمنية، ومن أجل الوصول إلى حل وسط ورأي محايد، سنعتمد التقسيم الثلاثي للعوامل أعلاه لمعالجة هذه المسألة، واعتمد البحث على بعض المصادر مثل ظل الله على الأرض لألما وتلن، وهموم السلطان عبد الحميد الثاني وجهاز الجاسوسية في الدولة العثمانية" لجاسم محمد حسن.

أولاً: نشأة الأمير عبد الحميد وظهور بوادر الشكوك في شخصيته

ذكرنا أولاً أن نشأة عبد الحميد وحياته المبكرة كانت أحد أهم عوامل تكوين شخصيته، وتكاد المصادر تتفق على أن ظروف طفولته ونشأته حتَّى توليه الحكم لم تكن اعتياديةً، بل كانت السبب الذي جعل منه شخصيةً جدليةً بكل المقاييس، إذ كان مختلفًا عمَّن سبقوه وعمَّن أخلفوه أيضًا، ومن بين أوجه الاختلاف هذه ما ذكره الكاتب اللبناني يوسف نعمان معلوف (ت: 1965) من خصال كان تجتمع في شخصيته؛ فقد ذكر من بين ما ذكر الخصال التالية: "دهاءٌ مفرطٌ، قوة البصيرة، انشغال الخاطر في كل ما يُقال عنه، الحرص الشديد على الحياة، الخوف من المقربين منه، الميل إلى البحث عن حقيقة الأشياء، كرهٌ شديدٌ للون الأحمر[2]، حب البقاء والانقياد بالهواجس والأوهام"، الخ[3]، وتؤكد الأمثلة التاريخية تلك الخصال، فمثلاً، ذكرت جون هاسلب[4] أن عبد الحميد كان قد اعتاد استراق السمع من وراء الأبواب إبان طفولته، وأنه كان يتجسس على أخوته وأخواته[5]، وكانت غرفة نومه موضع كتمان، وأحيانًا كان هو نفسه لا يدري أين سينام، وغالبًا ما كان يقرر مكان نومه في اللحظة التي يدركه فيها النوم، وقبل أن يأوي إلى فراشه، كان يفتش جناحه، وبعد أن يطمئن منه يوصد الأبواب ويحتفظ بالمفاتيح عنده، ولئلا يستغرق في نوم عميق، كان ينام نومًا خفيفًا[6]، وبلغ من خوفه أن حدوث أدنى ضجيج كان كافيًا لإسراعه بسحب مسدسه الذي كان يحتفظ به في جيبه دومًا[7]، وبعد اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني (1855-1881)، اشتد خوفه على حياته، إذ لم يعد يأوي إلى فراشه إلاَّ بعد تفتيش دقيق لغرفة نومه[8].

امتدت مخاوف عبد الحميد إلى الخوف من الظلام أيضًا، ولذلك كانت جميع غرف قصره وجميع ممرات وطرقات حدائقه تُنارُ بالمصابيح الكهربائية القوية من غروب الشمس حتَّى شروقها، لدرجة أنها تكاد تحيلها نهارًا من شدة وهجها[9]، ودفعه خوفه من تعرضه إلى محاولة اغتيال تحت جنح الظلام إلى امتناعه عن مغادرة مقره بعد غروب الشمس، وكان الصمت والسكون من أسباب خوفه وهلعه[10]، وقد لاحظ عددٌ من الرحَّالة الأميركيين والأوروبيين ممَّن سُمح لهم بمقابلته نظرات القلق في عينيه، وقيل إنه اتخذ احتياطات مشددة للحفاظ على سلامته الشخصية في أثناء المقابلات؛ فكان الزوار يُمنعون من تحريك أطرافهم بصورة مفاجئة إبان مثولهم بين يديه[11]، وقد حدث خلال لقاء بينه وأحد الباشوات أن مدَّ الباشا يده إلى جيبه بحثًا عن ورقة لها علاقةٌ بحديثه معه، فما كان من السلطان إلاَّ أن همَّ بإخراج مسدسه ظنًا منه أن الباشا كان يهمُّ بسحب مسدس من جيبه[12].

كذلك، بينما كان أحد الزوار يتراجع إلى الوراء بعد لقائه به زلَّت قدمه وكاد أن يسقط، فما كان من السلطان إلاَّ أن غادر الغرفة مهرولاً، وقيل إنه أشرف ذات مرة بنفسه على عملية استبدال أنابيب المياه في قصره بعد تلقيه تحذيرًا بشأنها، وزيادة في الحيطة، أمر بمدِّ الأنابيب الجديدة على عمق قليل من الأرض للحيلولة دون استخدامها في عملية اغتيال ضده[13].

من التدابير الأخرى التي عمد إليها لدرء خطر الاغتيال عنه ارتداؤه ثيابًا واقيةً من الرصاص، وذكرت هاسلب أنه كان يرتدي درعًا من الزرد تحت ثيابه عندما كان يروم الظهور أمام الناس منذ حادث اغتيال اليزابيث (1854-1898) زوج امبراطور النمسا والمجر فرانز جوزف الأول (1848-1916)[14] في ١٠ أيلول ١٨٩٨ في أثناء زيارتها إلى سويسرا[15].

كذلك استبدَّ الخوف بعبد الحميد من احتمال تسميمه، ولمنع ذلك لجأ إلى تدابير احترازية، من بينها إعداد طعامه في مطبخ خاص مستقل عن مطبخ القصر وُصف بأنه أشبه بالمختبر، فكان له بابٌ محكمٌ ونوافذه مصنوعةٌ من قضبان حديدية، وبعد الانتهاء من طبخ الطعام كان يوضع على طاولة مغطاة بقطعة من السجاد تُختم بالشمع، وكانت الاحتياطات نفسها تُطبَّق على سلة الخبز وقارورة الماء، ولا تكسر الاختام إلاَّ أمام عينيه[16]، وزيادةً في الحيطة كان يأمر عددًا من الناس بمن فيهم الطاهي أن يذوقوا الطعام قبله[17]، وأحيانًا كان يلقي بالطعام إلى كلابه وقططه قبل أن يتناوله للتأكد من خلوه من السم، وقيل إنه كان يفضِّل أكل البيض لصعوبة دس السم فيه[18]، وقد تضاعفت مخاوفه من الموت مسمومًا بالطعام بعد حادثة اغتيال قيصر روسيا المذكورة آنفًا، إذ بقي عدة أيام لا يقرب الطعام إلاَّ إذا كانت أمه بالتبني هي التي تعده له[19]، ولأن رئيس الطباخين لم يكن مسؤولاً عن إعداد طعامه بل السهر على صحته وسلامته أيضًا، كانت مكانته كبيرةً جدًّا في القصر، وكذلك كان الحليب الذي يشربه يؤتى به من مزرعة القصر الخاضعة لحراسة مشددة على الأبقار ليلاً نهارًا[20]، وكذلك، كان إعداد القهوة والسجائر له يتمان أمام عينيه[21]، وقيل إن خوفه من التسمم جعله يفضل تدخين أرخص أنواع التبوغ، وإن كان بإمكانه الحصول على أفخر أنواع السجائر[22]، ودفعه الخوف من دسّ السم في مشروباته إلى هواية إجراء التحاليل الكيمياوية، وحينما كان يُضطر إلى تناول بعض الأدوية من الحبوب، كان يفرغ محتويات عدة علب حبوب ثمَّ يلتقط إحداها كيفما اتفق وكأنه يسحب ورقة يا نصيب[23].

وفي حديثه عن نشأة عبد الحميد ذكر المؤرخ البريطاني دزموند ستيوارت Desmond Stewart (1949-؟) أنه "تعلم الحذر بين الحريم، فقد توفيت أمه المحظية وهو طفل، فوجد عوضًا منها في أم عمه السلطان عبد العزيز"، ثمَّ وصف الجو في الوسط الذي عاش قائلاً: "إن جناح الحريم مؤسسةٌ يصعب تصورها، فهي مستنبتٌ للمؤامرات،،،، وإذ كان عبد الحميد في جناح الحريم طفلاً بين أطفال كثيرين، فقد اعتاد منذ صغره أن يخفي أفكاره"[24]، ثمَّ يستطرد في حديثه حتَّى يصل إلى عبارة قد تبدو عاديةً جدًّا ولا تلفت الانتباه، لكنها غايةً في الأهمية، فهي مفتاح سلوك عبد الحميد وشخصيته خلال سنوات صِباه وقبيل توليه الحكم، إذ قال: "كان عبد الحميد بحاجة إلى صديق، لكنه عرف أن الصديق من أبناء قومه قد يكون خطرًا ومصدر فساد أكيد، وكان جلّ اهتمامه منصبًّا على تعلم كيفية الحكم"[25]، ومن خلال تحليل هذه العبارة نرى أنه كان يميل إلى العزلة، ولكنه كان يتطلع إلى الحكم منذ وقت مبكر، وكان هذا أحد أسباب قيامه ببناء جهاز جاسوسية واستخبارات قوي حينما أُتيحت له الفرصة وتولى الحكم.

اختلطت هذه الخصلة مع خصلة أخرى عُرف بها عبد الحميد وكانت جزءًا من شخصيته، ألا وهي حبه لذاته؛ إذ روى عنه أميرالاي الموسيقى الهمايونية "سالم بك الشركسي"[26] حكايةً تدلُّ صراحةً على حبه لذاته، إذ جاء في روايته ما يستحق أن نقبس منه هذه الفقرة:

> كنتُ في حداثة سني في جملة الذين عينهم السلطان عبد المجيد لمرافقة الأمير عبد الحميد في صغره، وكان يعطي لكل منا ليرةً عثمانيةً في كل صباح، فكان عبد الحميد يأتي إليَّ ويقنعني بأن "البشلك"[27] أفضل من الليرة، بحجة أنه أكبر حجمًا منها، وهكذا كان يأخذ الليرة مني ويضع في يدي بشلكًا بدلاً منها، فبلغ هذا الخبر والده السلطان عبد المجيد، فضحك حتَّى استلقى على قفاه، ثمَّ استدعى إليه عبد الحميد وقال له: "إذ كنتَ من الآن تتعلم النصب والاحتيال، فكيف إذا كبرت وتوليت زمام الرعية؟"[28].

تسلط الفقرة أعلاه الضوء على جانب من شخصية عبد الحميد، إذ تتضح من خلالها أن لديه نزعة الدهاء والاحتيال على الآخرين، وهي النزعة التي لا يمكن تطويرها وصقلها إلاَّ حينما يكون ذا سلطة، فكيف الحال إذا كانت تلك السلطة مطلقة؟

ثانيًا: موقف السلطان عبد الحميد الثاني من المحيطين به

العامل المهم الآخر الذي رسم ملامح شخصية عبد الحميد المتوجسة هو وجود بعض الشخصيات التي كانت تثير الريبة والشكوك في نفسه، وسنكتفي هنا بثلاثة أمثلة فقط، هم كلٌّ من مدحت باشا، ومراد الخامس، وعلي سعاوي.

كان مدحت باشا أبرز أعداء السلطان، فهو المسؤول ـ برأيه ـ عن قتل عمه عبد العزيز وعزل أخيه مراد الخامس[29]، وكان عبد الحميد ينظر إليه بعين الريبة، إذ ثمَّة فرقٌ شاسعٌ بينهما، فهذا ليبراليٌّ متأثرٌ بالغرب يدعو إلى التغريب وتقييد صلاحيات السلطان، وذاك محافظٌ متمسكٌ بالحكم المركزي وبتركيز السلطة بيده وحده لا شريك له، ويرجع سوء الظن بين الطرفين إلى بداية حكم السلطان الذي يمكن أن يُقال عنه إنه تمَّ بـ "صفقة سياسية"، ففي مقابل ترشيح عبد الحميد لعرش السلطنة وإزاحة مراد، اشترط مدحت باشا ورفاقه الليبراليون إعلان دستور للبلاد، فوافق السلطان على ذلك وتمَّت الصفقة[30]، فعُزل مراد ونُصِّب عبد الحميد، وحالما اعتلى العرش أعلن أنه سيحكم حكمًا دستوريًّا، فأعلن الدستور (المشروطية) بحسب الاتفاق، غير أنه أصرَّ على إدراج المادة 113 في الدستور التي تجيز له إبعاد أي شخص يشكُّ بولائه للدولة، وهو ما فعله لاحقًا بالضبط بحق مدحت باشا الذي كان أول مَن وضع الدستور وأول ضحاياه أيضًا[31].

لم يكن الخلاف الأيديولوجي بين عبد الحميد ومدحت باشا السبب الوحيد للصراع بينهما، بل كانت هناك اسبابٌ أخرى، يأتي في مقدمتها وجود تعهد خطي من السلطان لدى مدحت باشا كان قد اشترط على عبد الحميد ـ قبل ترشيحه للعرش ـ أن يوافق على إعادة مراد الخامس للعرش في حال تحسُّن قواه العقلية وتماثله للشفاء، كنوع من التهديد لعبد الحميد والتلويح له بإزاحته عن العرش في حال تملصه من تنفيذ وعوده الإصلاحية وفي مقدمتها الدستور، وكان هذا الشرط يؤرق عبد الحميد ويسبب له قلقًا مزمنًا[32]، وكانت هناك أسباب أخرى لاستياء عبد الحميد من مدحت باشا، في مقدمتها أن السلطان كان يعدُّه المسؤول الأول عن اندلاع الحرب الروسية ـ العثمانية (1877-1878م) التي استمرت نحو تسعة أشهر وانتهت بكارثة على الدولة، إذ أدت إلى فقدانها أهم ممتلكاتها في البلقان بموجب معاهدة سان ستيفانوس في 3 آذار 1878[33]، لكن السلطان تمكن من وضع حد لمخاوفه من مدحت باشا وذلك بنفيه إلى الطائف، حيث لاقى حتفه في سجنه هناك عام 1884م[34].

على أن أكثر ما كان يثير امتعاض عبد الحميد من مدحت باشا غروره ونشاطاته وارتباطاته المريبة، ولاسيَّما ببريطانيا والمحافل الماسونية التي كان السلطان يمقتها أشد المقت[35]، وفوق هذا وذاك، كان مدحت باشا قد بدأ في تكوين جيش مستقل خاص أطلق عليه اسم "جنود الأمة" تابع له مكونٌ من جود مسلمين وغير مسلمين خلاف ما هو معروف من أن جيش الدولة العثمانية لا بد أن يتشكل من المسلمين فقط، وقام ضباط هذا الجيش الخاص بالقيام بمظاهرات تأييدًا لمدحت باشا، وقد طلب السلطان منه أن يكون هذا الجيش تابعًا للجيش العثماني الأول، لكن مدحت باشا حرض جنوده بالقيام بمظاهرة عسكرية، وقد ضاق السلطان ذرعًا بذلك، فعزله[36].

كان الشخص الآخر الذي يثير ريبة السلطان عبد الحميد وقلقه هو أخيه مراد الخامس الذي كان مجرد بقاؤه حيًّا ـ رغم حجزه ـ يؤرقه ويوقظ وساوسه ومخاوفه، لئلا يتماثل للشفاء ويعود إلى العرش[37].

لم يكن هذا السبب الوحيد لاستياء عبد الحميد من وجود أخيه مراد، إذ يرجع استياؤه منه إلى سنوات حكم عمِّهما عبد العزيز حينما اصطحبهما معه بجولة في بعض دول أوروبا في تموز عام 1867م، ففي أثناء وجودهم في ميناء مرسيليا الفرنسي، دار بين الأمير عبد الحميد ـ بعد إصابته بصداع مفاجئ ـ وعمه حوارٌ غريبٌ ينمَّ عن وجود شعور كامن بالغيرة لدى عبد الحميد تجاه أخيه، حريٌّ بنا أن نشير إليه لأهميته، فلدى سؤال السلطان عن سبب الصداع والأوهام والوساوس التي تنتاب عبد الحميد، أجاب الأخير:

> "إن ما أصابني ليس من جري الوساوس والأوهام، ولكني متأثرٌ ومنفعلٌ مما أراه من كثرة محبة الناس لأخي مراد وعدم اكتراثهم بي، فإن الجميع يحترمونه ويقبلون على محادثته، أمَّا أنا فلا يكلموني ولا ينظرون إليَّ إلاَّ بوجه عبوس كأنني لستُ شيئًا مذكورًا في أعينهم، حتَّى أن رئيس بلدية مرسيليا قال في الليلة البارحة "إن مراد أفندي يصلح أن يكون بلا ريب سلطانًا مفيدًا للأمة، أمَّا أخاه فإنه بعكس ذلك"[38]".

وانتهى الحوار بين الطرفين بعبارة أكدت لعبد الحميد استهزاء عمِّه بإمكاناته ومقدرته في الحكم، إذ قال:

"إنك إذا صرت سلطانًا وجعلت محور أعمالك الوساوس والأوهام كما هي حالتك الآن، لقُدتَ الدولة إلى الخراب وعرَّضت الأمة إلى التحقير في أنظار الأمم الأجنبية، وإنني لأشفقُ على الأمة العثمانية إذا قُدِّر أن تكون يومًا سلطانَها وأحزن لوخامة مستقبلها، والسلام"[39].

تكشف لنا الرواية أعلاه عن نوازع عبد الحميد الحقيقية تجاه أخيه مراد، وتفسِّر لنا سبب هواجسه ووساوسه من إعادته إلى الحكم، على أي حال، لم تقتصر أسباب ريبة عبد الحميد من أخيه مراد على دوافع شخصية فحسب، بل تتعلق بارتباطه بالماسونية وبريطانيا، وهو ما اتضح جليًّا في حادثة جيراغان التي قادها ثالث أعدائه، علي سعاوي.

كان علي سعاوي من جماعة العثمانيين الجدد، ثمَّ فرَّ إلى أوروبا وعاد لتهنئة السلطان بمناسبة اعتلائه العرش، فعيَّنه في إدارة المدرسة السلطانية في غلطة سراي، وقد عرف عنه بأنه وطني مخلص، لكن السلطان غضب عليه وعزله من وظيفته لارتكابه أفعالاً وُصفت بأنها "غير متزنة"، وما لبث أن أصبح من ألد أعداء السلطان، ثمَّ قام بحركة تمرد شَنَّ فيها هجومًا على قصر جراغان لتهريب مراد الخامس وإعادته إلى عرش السلطنة، وسُميت هذه الحادثة بواقعة "قصر جيراغان"، وحدثت في ٢٠ أيار ١٨٧٨م (أي في أصعب ظروف الدولة، بعد توقيع معاهدة سان ستيفانوس بنحو شهرين ونصف الشهر)، وهي أول محاولة للتمرد والانقلاب ضد السلطان عبد الحميد، وكان المتهمون فيها علي سعاوي ومراد الخامس، ويُظنُّ أن للماسونية وبريطانيا ضلعٌ فيها، وأن علي سعاوي نفسه كان جاسوسًا لبريطانيا بتأثير زوجته البريطانية، حتَّى أنه كان يسمَّى "علي البروتستانتي"[40]، وقد سببت هذه المحاولة صدمةً نفسيةً كبيرةً لعبد الحميد الذي اتهم بريطانيا والماسونية صراحةً بالضلوع في هذه المحاولة، قائلاً: "دأبت انكلترا على إشعال نار الفتن عن طريق القناة الماسونية"[41].

وإلى جانب هذه الشخصيات المحورية الثلاث، أقدم السلطان منذ بداية حكمه على إقالة عدد كبير من الوزراء ممَّن كان يشك فيهم[42]، وغدا بقاء الباقين في مناصبهم مرهونًا بامتثالهم لأوامره دون نقاش[43]، وترتب على فقدانه الثقة بوزرائه أن اعتمد في الوقوف على أحوال دولته على تقارير الجواسيس التي كان يقضي معظم وقته في قراءتها منذ ساعات الصباح الأولى[44]، وفي سبيل حماية نفسه، غادر قصر بشكطاش وأقام في قصر يلدز، ونقل إدارة شؤون الدولة إليه بدلاً من الباب العالي[45]، وأقام بجواره معسكرًا لحمايته قوامه خمسمئة حارس بعد أن كان مئتي حارس من شديدي الإخلاص له، وسُميت فرقة الحرس هذه "وحدة سوغوتلو" نسبةً إلى سوغوت موطن العثمانيين الأوائل في شمال غرب الأناضول[46].

نكتفي بهذا القدر في الحديث عن المحيطين بالسلطان وننتقل الآن إلى العامل الثالث في صوغ هواجسه وتركيزه بالتالي على جهاز الجاسوسية والمخابرات، وأعني بذلك التحديات الداخلية والخارجية التي كانت تواجه الدولة العثمانية قُبيل وعشية توليه الحكم.

ثالثًا: التحديات السياسية التي واجهها عبد الحميد الثاني في مطلع حكمه

من المعروف أن الدولة العثمانية مرَّت منذ مطلع حكم السلطان عبد الحميد بأزمات دولية وأخرى داخلية هددت مصيرها ووحدة أراضيها، فمنذ ارتقائه العرش وجد أن انتفاضات عارمةً تعمُّ ولايتي البوسنة والهرسك بغية الانفصال، وكان أوار الثورة لا يزال مشتعلاً في بلغاريا، وكان الصرب والجبل الأسود يحاربان الدولة بتحريض من روسيا التي كانت تخوض ضدها هي الأخرى حربًا مباشرةً (1787-١٨٧٧)[47] وصلت فيها الأساطيل الروسية إلى مشارف العاصمة استانبول وكادت أن تحتلها لولا تدخل البريطانيين الذين انتهزوا الفرصة، فحصلوا على موافقة السلطان ـ مقابل حمايته ـ لإشغال جزيرة قبرص (فأشغلوها عام 1878)، واحتلال مصر (فاحتلوها عام 1882)[48].

كانت حركات التمرد الداخلية التي تزامنت مع الحرب الروسية ـ العثمانية جزءًا من مخاوف السلطان، وكانت أهمها ما حصل في جزيرة كريت (التابعة للباب العالي حتَّى عام 1878م)؛ إذ حصل فيها تمردٌ ديني ـ قومي انتهى بمطالبة سكانها بالحكم الذاتي وإلحاق الجزيرة باليونان في محاولة لإعادة أمجاد الدولة البيزنطية، غير أنه تمكن من قمع ذلك التمرد[49]، وكذلك تمرد الأرمن وطالبوا بالانفصال عن الدولة بتحريض من روسيا، إذ أخذت العصابات الأرمنية تهاجم القرى العثمانية والكردية في شرق الأناضول وقتل أهاليها، فتدخلت القوات العثمانية المعروفة باسم "الفرسان الحميدية" وأعادت الأمن والنظام إلى المنطقة عام 1877م بالشدة والحزم[50]، واتضح بعد نهاية الحرب الروسية ـ العثمانية أن بريطانيا وفرنسا تخلتا عن سياستهما التقليدية في المحافظة على سلامة الدولة العثمانية وأخذتا تفكران باقتطاع أجزاء منها؛ فأيدتا انتقال حكم البوسنة أداريًّا للنمسا، فيما استولت فرنسا على تونس عام ١٨٨١، وبريطانيا على مصر عام ١٨٨٢ كما أشرنا.

حاول السلطان عبد الحميد مواجهة تلك التحديات والمحافظة على ما تبقى من أراضي الدولة العثمانية بإمكانات متواضعة؛ فالجيش أضعف من أن يواجه جيوش الدول الأوروبية التي تنافست في احتلال أراضيها، أمَّا الخزينة فكانت خاويةً، الأمر الذي دفع الحكومة إلى التفتيش باستمرار عن مصادر دولية جديدة للقروض بفوائد وشروط غير مريحة، كما أن أجهزة الدولة الإدارية في العاصمة وفي الولايات المختلفة عانت الضعف وعدم الكفاءة في تنفيذ الإصلاحات ومشاريع التطوير الضرورية لحفظ سلامتها في مواجهة التحديات الداخلية، فكل محاولات الإصلاح كانت تنطوي على مساوئ وتناقضات عجَّلت بانهيار الدولة؛ إذ كانت عوامل الإصلاح نفسها واهيةً وعرضة للانهيار، ذلك أن السلطان كان يريد سلطةً مطلقةً، في حين كانت البيروقراطية الإدارية تريد سلطةً مقيدةً بالمبادئ ومحدودة الصلاحيات، وهاتان الإدارتان لا يمكن التوفيق بينهما، فكان أن انشقتا في زمنه[51].

كان من حسن حظ السلطان عبد الحميد أن الظروف الدولية آنذاك كانت في مصلحته، إذ لم تتفق الدول العظمى على تقاسم ممتلكات الدولة العثمانية؛ فكانت خطط روسيا والنمسا والمجر متضاربةً بشأن البلقان، وكانت بريطانيا

وفرنسا تتطلعان إلى شمال أفريقيا، وكانت بريطانيا وألمانيا تتطلعان إلى تعزيز نفوذهما في ممتلكات الدولة الآسيوية، ولاسيَّما في العراق والخليج العربي بحثًا عن البترول والآثار[52]، ناهيك عن صراع إيطاليا وفرنسا في طرابلس الغرب وتونس، وفي عام ١٨٧٨ حصلت صربيا على استقلالها، وحصلت إمارة بلغاريا على الحكم الذاتي، وتأكد استقلال رومانيا، وحصلت روسيا على القوقاز[53].

ومع تدهور علاقات الباب العالي مع كل من بريطانيا وفرنسا بعد احتلال مصر وتونس، لم يعد بإمكان الدولة الاستمرار في سياستهما التقليدية في حفظ سلامتها ووحدة أراضيها، فقام السلطان بمدِّ خيوط التعاون مع ألمانيا، إدراكًا منه إن الدولة العثمانية بحاجة إلى دولة صناعية متقدمة، وكانت هذه الأخيرة تتطلع هي الأخرى للحصول على "موضع لها تحت الشمس" وتطمح للوصول إلى الشرق في سياستها المعروفة باسم "التوجه نحو الشرق" (Drang Nach Ostem)[54]، فاستقدم السلطان خبراء ألمان إلى استانبول لتحديث الجيش العثماني، وأنشأ الكثير من المدارس العسكرية، وتخلى عن النظم العسكرية الفرنسية، وأدخل الأساليب والتقنيات الألمانية التي أصبحت معتمدةً في الجيش العثماني عوضًا عن الأساليب والتقنيات الفرنسية[55]، وتكللت العلاقة بين الطرفين بزيارة تاريخية قام بها قيصر ألمانيا فيلهلم الثاني (1888-1918) لاستانبول بدعوة من السلطان في تشرين الأول 1898م، وشمل التعاون مجالات التجارة والاستثمار في مشاريع الإعمار والمواصلات، وازداد التنسيق السياسي والتعاون العسكري بين البلدين[56]، وكانت هذه الخطوة نابعةً من قناعة السلطان بأهمية التقدم والتطور والأخذ بأسباب الحضارة الغربية طالما لا تتعارض مع الدين الإسلامي ومصلحة البلاد، لقناعته أن عدم الأخذ بالتطور الأوروبي هو أهم أسباب تأخر الدولة، لذلك شجع التحديث بأوجهه المدنية والعسكرية، وكانت بصماته فيه واضحةً[57].

بهذه الأدوات السياسية الداخلية استطاع عبد الحميد الحفاظ على عرشه، أما أسلوب تحقيق هذا الهدف فكان سببًا في الانتقادات الشديدة التي وجهت إلى نظام حكمه وسياسته الداخلية، إذ استمر في الإصلاحات، لكن من دون فتح الباب على مصراعيه للنفوذ الغربي سياسيًا وثقافيًا، وحاول كسب ولاء المسلمين بدعمه فكرة "الجامعة الإسلامية" التي رأى فيها سلاحًا لحماية الدولة من الأخطار التي كانت تواجهها من الدول الغربية، وفي المقابل، حارب الأفكار الليبرالية التحررية، ولاسيَّما القومية والانفصالية في الولايات العربية (كتلك التي ظهرت في بلاد الشام والسودان)، واستعان في سبيل ذلك بأجهزة أمن معقدة تعتمد على شبكة واسعة من المراقبين والجواسيس[58]، ما جعل الليبراليين والقوميين يعادونه بسبب محاربته اليقظة القومية.

تمثلت سياسة عبد الحميد الثاني المركزية الداخلية بإحياء الدولة العثمانية في إطار الإسلام، وبنى استراتيجيته على تأسيس رابطة قوية تجمع شتات العالم الإسلامي وتوحد صفوفه بغية تحقيق وحدة العالم الإسلامي، وهو ما سُمي بسياسة الجامعة الإسلامية[59] التي لم تكن في حقيقتها سوى أداة دينية لتقوية سلطته السياسية في العالمين العربي والإسلامي، وبواسطتها استطاع أن يحتفظ بولاء المسلمين غير الأتراك داخل الدولة[60].

الخاتمة

من خلال هذا البحث، يمكن الخروج بالنتائج التالية:

1- ترتب على العوامل والدوافع الثلاثة أعلاه: نشأة عبد الحميد وخصاله الشخصية، وفقدانه الثقة بوزرائه والمحيطين به، والتحديات السياسية الخارجية والداخلية التي واجهتها الدولة العثمانية، أن اعتمد ـ لمعرفة الأوضاع في البلاد وإحكام قبضته عليها ـ على تقارير الجواسيس؛
2- بدأ السلطان عبد الحميد الثاني يفكر بتطوير شبكة استخبارات سرية وواسعة وقوية لقناعته أن الدولة لا يمكن أن تكون آمنةً إذا تمكنت الدول الكبرى أن تجند لخدمة أهدافها أشخاصًا في درجة صدر أعظم؛
3- بناءً على تلك الظروف، قرر السلطان تطوير جهاز الاستخبارات وربطه به مباشرةً، وهذا هو الجهاز الذي يسميه أعداؤه "الجورنالجية" (الشرطة السرية = الخفية)، إذ كان من الضروري أن يعرف أن بين أعضاء جهاز الجورنالجية المخلصين الحقيقيين أشخاصًا مفترين، ولكنه لم يصدق ولم يأخذ بأي شيء يأتي من هذا الجهاز مطلقًا دون تحقق دقيق، وكانت هذه البداية لتأسيس جهاز استخبارات قوي في عهده عام 1880 سُمي "جهاز استخبارات يلدز"؛
4- كان جهاز الاستخبارات العثماني قائمًا قبل مجيء عبد الحميد إلى الحكم، ولكنه طوره وجعله جهازًا مستقلاً ومرتبطًا به وبقصر مباشرةً، ما يعكس حرصه على متابعة أمور البلاد أولا بأول وما يحيط بها من تحديات داخلية وخارجية.

6. المراجع

يتم سرد المصادر بطريقة APA الاصدار السابع. وتعد الإشارة إلى المراجع العلمية جزءًا لا يتجزأ من النزاهة الأكاديمية، حيث تسهم في تعزيز المصداقية والشفافية في البحث العلمي. الالتزام بأنماط التوثيق المعتمدة يضمن تقديم العمل بشكل احترافي متسق.

(1) مثل النمساوية ألما ستيفاني وتلن Wittlin،Alma S (1899-1992)، والبريطانية جون هاسلب Joan Haslip (1912-1994م)، يُنظر: ألما وتلن، عبد الحميد ظل الله على الأرض، ترجمة راسم رشدي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ١٩٥٠؛ جون هاسلب، السلطان الأحمر عبد الحميد، ترجمة: فيليب عطا الله، دار الروائع الجديدة، بيروت، ١٩٧٤، وقد استعرض الباحث العراقي المرحوم جاسم محمد حسن أبرز ما يخص هذا الموضوع من هذين الكتابين في بحثه المعنون: "هموم السلطان عبدالحميد الثاني وجهاز الجاسوسية في الدولة العثمانية"، مجلة العلوم الاجتماعية، مج10، ع2، الكويت، يونيو، 1982، ص23-37، يُنظر كذلك:

Georges Dorys, *The Private Life of Sultan of Turkey*, D، Appelton & Co، New York, 1901.

(2) اشتهر عبد الحميد بهذه الخصلة، حتَّى أنه لم يكن يسمح بدخول أي حاجة حمراء إلى قصره، وكان ينبه السفير العثماني لدى باريس صالح منير باشا الموكل بشراء مفروشات للقصر أن لا يبتاع شيئًا من الفرش ذي اللون الأحمر، ويُقال إن السبب في ذلك هو أن الأحمر لون الدماء، فيخيل منظره للسلطان فاجعة عمه عبد العزيز المعزول ساعة مقتله، ولا يريد أن يتصور حوادث العزل والقتل لأنها تزيد اضطراباته، هاسلب، المصدر السابق، ص165.

(3) المصدر نفسه، ص164-165.

(4) تجدر الإشارة هنا إلى أن اسم جون هو اسم مؤلفة وليس اسم مؤلف، كما يظن الكثيرون.

(5) هاسلب، المصدر السابق، ص٢٠، ٥٩.

(6) عثمان نوري، عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي حياة خصوصية وسياسية سي، مطبعة عامرة، در سعادت، ١٣٢٧.

(7) هاسلب، المصدر السابق، ص١٥٤.

(8) المصدر نفسه، ص١٩٧.

(9) نوري، المصدر السابق، ص٤٨٣.

(10) هاسلب، المصدر السابق، ص١٧٩، ص٢٧٥.

(11) Elizabeth Wormeley Latimer, *Russia and Turkey in the Nineteenth Century*, A. C. McClurg & Co., Chicago, 1893, p. 355.

(12) وتلن، المصدر السابق، ص١٦٥.

(13) وتلن، المصدر السابق، ص120.

(14) هاسلب، المصدر السابق، ص٢٧٦.

(15) جاسم محمد حسن، ص26.

(16) نوري، المصدر السابق، ص٤٨٣.

(17) مذكرات آغا خان، نقلته إلى العربية، دار العلم للملايين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩، ص١٢٦-١٢٧.

(18) نوري، المصدر السابق، ص٤٨٢.

(19) هاسلب، المصدر السابق، ص١٩٧.

(20) المصدر نفسه، ص١٨٣.

(21) نوري، المصدر السابق، ص٤٨٧.

(22) وتلن، المصدر السابق، ص١٦٠.

(23) المصدر نفسه، ص١٦١.

(24) دزموند ستيورت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث: معبد جانوس، ترجمة: زهدي جار الله، دار النهار للنشر، بيروت، 1974، ص12.

(25) المصدر نفسه، الصفحة نفسها، وعن ميله للعزلة وعدم مخالطة الآخرين، يُنظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، مكتبة دار الأنبار، الرمادي، ١٩٨٧، ص٢٢٨-٢٣٤؛ عمر فاروق يلماز، السلطان عبد الحميد الثاني بالوثائق، ترجمة طارق عبد الجليل السيد، دار النشر العثمانية العمرانية، إسطنبول، ٢٠٠٠، ص85.

(26) لم تعثر الباحثة على ترجمة له.

(27) "البشلك" لفظة تركية مؤلفة من "بش" أي خمسة، و"لُك" أي قطعة، وكانت تعادل في حينذاك خمسة قروش، ثمَّ امتنعت الخزينة عن قبضه إلاَّ بثلاثة قروش فقط، وهكذا خسر الأهالي قرشين في كل قطعة من هذه العملة، يُنظر: يوسف نعمان معلوف، أسرار يلديز: أو العقد الثمين في تاريخ أربعة سلاطين، مطبعة الأيام، نيويورك، 1900، ص160-161.

(28) معلوف، المصدر السابق، ص160-161.

(29) ثمَّة مصادر كثيرة تناولت العلاقة المعقدة بين السلطان ومدحت باشا، وإن عدم ذكر التفاصيل الدقيقة عنها لا يعني عدم الاطلاع عليها.

(30) صدر أول دستور للدولة في 23 كانون الأول 1876م، وعُرف باسم "القانون الأساسي"، وعُرف العهد الذي صدر به باسم "عهد المشروطية الأولى"، عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: صالح سعداوي صالح، دار البشير، عمَّان، 1991م، ص20.

(31) استنادًا إلى المادة ١١٣ من الدستور أمر عبد الحميد بوضع مدحت في باخرة وارساله إلى أوروبا، وبعد بضع سنوات أرجعه إلى القسطنطينية وجعله نجم الدفاع في قضية عمه السلطان عبد العزيز التي أعيد النظر فيها، فقد غير اثنان من الأطباء الذين وقعوا التقرير الطبي الأصلي رأيهما وأعلنا أن السلطان مات قتلاً، وأصدرت المحكمة المؤلفة من ثلاثة قضاة مسلمين وقاضيين مسيحيين حكمها بالإعدام على ثمانية من المتهمين، ولكن السلطان عبد الحميد خفف الحكم على مدحت إلى النفي إلى الطائف في الحجاز حيث كان من المؤكد أن يهلك أو يقتل، ستيوارت، ص135-136.

(32) وردت هذه المعلومة لدى: جاسم محمد حسن، ص24، لكنه لم يذكر مصدرها، ولكن السلطان عبد الحميد أنكر وجود وثيقة كهذه، إذ قال: "كيف أكون سلطانًا وأوقِّع على مستند يأخذه عليَّ وزيري؟ وكيف يُجنُّ وزيري ويجرؤ على وشع شرط على سلطانه"، يُنظر: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص118.

(33) نور إبراهيم نجم العزاوي، المدارس العسكرية العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، دار الرواق للسياسات، بغداد، 2025، ص44؛ مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: ترجمة محمد علي عبد الله، مراجعة: أنيس عبد الخالق محمود، ط2، دار الوراق، بيروت ـ لندن، 2020، ص74؛ وللمزيد من التفاصيل عن المعاهدة، يُنظر: أوديل مورو، الدولة العثمانية في عصر الاصلاحات: رجال النظام الجديد العسكري وأفكاره 1826- 1914، ترجمة: كارمن جابر، المركز العربي ودراسة السياسات، بيروت، 2018، ص44 (هامش 35).

(34) ستيوارت، المصدر السابق، ص135.

(35) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص107.

(36) المصدر نفسه، ص107-108.

(37) عن حياة السلطان مراد الخامس في سجنه بقصر جراغان، يُنظر: عمر أبو النصر، عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في البلاد العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1939، ج14، ص418-423.

(38) معلوف، المصدر السابق، ص166-167.

(39) المصدر نفسه، ص169.

(40) عن تفاصيل هذه الواقعة ومحاولة علي سعاوي إعادة مراد الخامس إلى العرش، يمكن الرجوع إلى: سليمان جوقه باش، السلطان عبد الحميد الثانى: شخصيته وسياسته، ترجمة: عبد الله أحمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص139-143؛ عمر أبو النصر، المصدر السابق، ص424-429، وعن المزاعم بشأن تعافي مراد الخامس من مرضه، يُنظر: المصدر نفسه، ص430-433، وللاطلاع على دراسة أكاديمية حديثة عن حياة علي سعاوي ودوره في السياسة العثمانية، وفي حادثة جراغان تحديدًا، تُنظر دراسة الباحث أهارون جونسون في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مكغيل في مونتريال التالية:
Aaron S، Johnson, "A Revolutionary Young Ottoman: Ali Suavi (1839-1878)", Institute of Islamic Studies McGill University, Montreal, June 2012.

(41) سليمان جوقة، المصدر السابق، ص143.

(42) Edwin Pears, *Forty Years in Constantinople*, 2nd ed., D. Appleton & Co., New York, 1915, p، 106،

(43) Ibid, p. 108.

(44) وتلن، المصدر السابق، ص٧٩-٧٨، ٦١٤- ٦١٥، وتجدر الإشارة هنا إلى انزعاج السلطان من قيام أول رئيس لمجلس المبعوثان العثماني أحمد وفيق باشا ببيع إحدى عقاراته للبعثة البروتستانتية الأميركية التي نشطت خلال عامي 1876-1877، إذ كان يرى أن المدارس الأجنبية في الأراضي العثمانية ما هي إلاّ بؤرةٌ للتجسس والعمالة، فضلاً عن نشاطاتها المعادية للإسلام والمسلمين، وكان أحمد وفيق باشا قد أوصى بأن يدفن عند وفاته في مقبرة أيوب سلطان، لكن السلطان رفض تنفيذ وصيته وأمر بدفنه في المقبرة المحاذية للأرض التي باعها للبروتستانت، قائلاً: "الأوْلى بمَن باعَ أرضهُ للبعثة النصرانية أن يسمع صوت الأجراس إلى يوم القيامة"، يُنظر: بلال أبو الخير، وكالة يلدز: الطرق الاستخبارية في الدولة العثمانية، دار الخير الإسلامية، اسطنبول، ص203.

(45) Berkan Güngör, "Sultan II، Abdülhamid'in Yönetim Anlayışı ve Osmanlı Bürokratik Yapısındaki Yeri", *Erciyes Üniversitesi İktisadi ve İdari Bilimler Fakültesi Dergisi*, cilt 60 (Ankara, July 2021), s. 90.

(46) بلال أبو الخير، المصدر السابق، ص206.

(47) انتهت الحرب بين الدولتين في عام ١٨٧٨، بمعاهدة برلين (13 حزيران 1878م)، واستطاعت روسيا من خلالها أن تحصل على استقلال ذاتي لبلغاريا تحت السيادة العثمانية، واستقلال الصرب ورومانيا والجبل الأسود وانضمام جنوب بسارابيا إلى روسيا وانضمام القرم أو أردهان إلى روسيا، يُنظر: محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د، ت،)، ص170-171.

(48) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨، ج٢، ص١٠٦٥–١٠٦٧، ص1073؛ يوسف نعمان معلوف، أسرار يلدز، أو العقد الثمين في تاريخ أربعة سلاطين، مطبعة الأيام، نيويورك، ١٩٠٠، ص٢٦٤-٢٦٨.

(49) محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، 1990م، ص41-42.

(50) عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، السلطان عبد الحميد (رؤية نقدية)، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، المجلد 25، العدد 49، السعودية-2003م، ص308؛ محمد حرب، المصدر السابق، ص42.

(51) Albert Hourani, *The Ottoman Background of the Modern Middle East*, Longman, London, 1970, p. 21.

(52) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص154-156.

(53) ميم كامل أوكي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، ترجمة إسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢، ص٣٤؛ أوديل مورو، المصدر السابق، ص43-44.

(54) Berkan Güngör, a. g. e, ss. 87-88.

(55) نور إبراهيم نجم العزاوي، المصدر السابق، ص38.

(56) الشناوي، المصدر السابق، ج3، ص1346-1347.

(57) نور إبراهيم نجم العزاوي، المصدر السابق، ص26؛ أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الاسلامية، استانبول، 1999م، ج1، ص114-115.

(58) المصدر نفسه، ج3، ص١٢٠٠-١١٩٩، وعن سياسته الداخلية، يُنظر: معلوف، المصدر السابق، ص٢٦٧-٢٧٢؛ أورخان محمد علي، ص٢٢٨-٢٣٤؛ يلماز، المصدر السابق، ص٢٤٢ –244.

(59) جوقه باش، المصدر السابق، ص330-331.

(60) حسان علي حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨-١٩٠٩، الدار الجامعية للنشر، بيروت، 1985، ص٢١-٢٦.

مراجع البحث

1- آغا خان، مذكرات آغا خان، ترجمة: دار العلم للملايين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩.
2- أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الاسلامية، استانبول، 1999م.
3- ألما وتلن، عبد الحميد ظل الله على الأرض، ترجمة راسم رشدي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ١٩٥٠.
4- أوديل مورو، الدولة العثمانية في عصر الاصلاحات: رجال النظام الجديد العسكري وأفكاره 1826- 1914، ترجمة: كارمن جابر، المركز العربي ودراسة السياسات، بيروت، 2018.
5- أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، مكتبة دار الأنبار، الرمادي، ١٩٨٧.
6- بلال أبو الخير، وكالة يلدز: الطرق الاستخبارية في الدولة العثمانية، دار الخير الإسلامية، اسطنبول.
7- جاسم محمد حسن، "هموم السلطان عبدالحميد الثاني وجهاز الجاسوسية في الدولة العثمانية"، مجلة العلوم الاجتماعية، مج10، ع2، الكويت، يونيو، 1982.
8- جون هاسلب، السلطان الأحمر عبد الحميد، ترجمة: فيليب عطا الله، دار الروائع الجديدة، بيروت، ١٩٧٤.
9- حسان علي حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨-١٩٠٩، الدار الجامعية للنشر، بيروت، 1985.
10- دزموند ستيورت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث: معبد جانوس، ترجمة: زهدي جار الله، دار النهار للنشر، بيروت، 1974.

11- سليمان جوقه باش، السلطان عبد الحميد الثاني: شخصيته وسياسته، ترجمة: عبد الله أحمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.
12- عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: صالح سعداوي صالح، دار البشير، عمَّان، 1991م.
13- عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: ترجمة محمد علي عبد الله، مراجعة: أنيس عبد الخالق محمود، ط2، دار الوراق، بيروت ـ لندن، 2020.
14- عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، السلطان عبد الحميد (رؤية نقدية)، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، المجلد 25، العدد 49، السعودية-2003م.
15- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١.
16- عثمان نوري، عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي حياة خصوصية وسياسية سي، مطبعة عامرة، در سعادت، ١٣٢٧ (بالتركية العثمانية).
17- عمر أبو النصر، عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في البلاد العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1939.
18- عمر فاروق يلماز، السلطان عبد الحميد الثاني بالوثائق، ترجمة طارق عبد الجليل السيد، دار النشر العثمانية العمرانية، إسطنبول، ٢٠٠٠.
19- محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت.).
20- محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، 1990م.
21- ميم كمال أوكي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، ترجمة إسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢.
22- نور إبراهيم نجم العزاوي، المدارس العسكرية العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، دار رواق للسياسات، بغداد، 2025.
23- يوسف نعمان معلوف، أسرار يلدز، أو العقد الثمين في تاريخ أربعة سلاطين، مطبعة الأيام، نيويورك، ١٩٠٠.

- Dorys, Georges, *The Private Life of Sultan of Turkey*, D. Appelton & Co., New York, 1901.
- Güngör, Berkan, "Sultan II, Abdülhamid'in Yönetim Anlayışı ve Osmanlı Bürokratik Yapısındaki Yeri", *Erciyes Üniversitesi İktisadi ve İdari Bilimler Fakültesi Dergisi*, cilt 60 (Ankara, July 2021).
- Hourani, Albert, *The Ottoman Background of the Modern Middle East*, Longman, London, 1970.
- Johnson, Aaron S, "A Revolutionary Young Ottoman: Ali Suavi (1839-1878)", Institute of Islamic Studies McGill University, Montreal, June 2012.
- Latimer, Elizabeth Wormeley, *Russia and Turkey in the Nineteenth Century*, A. C. McClurg & Co., Chicago, 1893،
- Pears, Edwin, *Forty Years in Constantinople*, 2nd ed., D، Appleton & Co., New York, 1915.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract
The paper briefly discusses the reasons and motivations behind the development of the espionage and intelligence organization during Abdul Hamid II's era, It focuses on his upbringing and the early years of his reign, which shaped his personality and intelligence sense, Studies on this topic do not cover this aspect carefully, The paper is divided into three main topics: 1) the upbringing of Prince Abdul Hamid and the

development of early doubts about his personality; 2) his attitude toward those in the palace surrounding him; 3) the external and internal political challenges he faced at the beginning of his reign, represented by the ambitions of Western powers to seize this or that portion of the Ottoman Empire's possessions, or the activity of hostile movements within the state and its provinces, The paper concludes with a conclusion that includes the most important findings, foremost among which is the need to develop and build a strong intelligence apparatus that differs from what existed during the reigns of previous sultans.

Keywords: Ottoman Empire, Sultan Abdul Hamid II, espionage, intelligence,